فلسفة الاخلاق

يا : تهذيب الاخلاق

للشيخ الاكبر سيدى محي الدين بن العربى

حكمة

لاتقسروا أولادكم على آدابكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم

حكمة

عليك بحسن الاخلاق بأتيان مكارمها وتجنب سفسافها

المؤلف

حقوق الطبع محفوظة

التزام محمد عطية الكتبي

يباع بمحل على محمد ابو طالب الكتبي بخان الخليلى بمصر

مطبعة محمد مطر بمصر

الشيخ الاكبر محي الدين ابن العربى

ترجمته

هو الشيخ الاكبر سلطان العارفين سيدى محي الدين محمد بن على بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمى من ولد عبد الله بن حاتم الصوفى الفقية الظاهرى المشهور . ولد رضى الله عنه بمرسية يوم الاثنين سابع رمضان سنة ستين وخمسمايه روى عن ذلك ابن النجار وقرأ القرآن على أبى بكر ابن خلف باشبيليه وبالسبع بكتاب الكافى وحدثه به عن ابن المؤلف أبى الحسن شريح ابن محمد ابن شريح الرعينى عن أبيه وقرأ أيضاً السبع بالكتاب المذكور على أبى القاسم الشراط القرطبي وحدثه به عن ابن المؤلف وسمع على أبى بكر محمد ابن أبى جمرة كتاب التيسير للداني عن أبيه عن المؤلف وسمع على ابن زرقون وأبى محمد عبد الخالق الاشبيلى الازدى وغير واحد من أهل المشرق والمغرب وروى عن السلفى بالاجازة وقال ابن مسدى سمع يبلاده من ابن زرقون والحافظ بن الجد وأبى الوليد الحضرمى ونسبته من أبى محمد ابن عبد الله ولقى عبد الحق الاشبيلى وحدثه بكتب الامام أبي محمد على

بن أحمد بن حزم عن أبى الحسن شريح بن محمد شريح عنه
وقال المنذرى ذكر انه سمع بقرطبه من أبى القاسم بن بشكوال
وجماعة سواه وقال ابن خاتمة فى كتابه مزية المرية سمع حديث
من أبي القاسم الحرستانى ومن غيره وسمع صحيح مسلم من
الشيخ أبى الحسن بن أبى نصر فى شوال سنة ٦٠٦ وكان
يحدث بالاجازة العامة عن أبى طاهر السلفى ويقول بها وفى
عنوان الدراية انه دخل بجاية في رمضان سنة ٥٩٧ ولقى بها
ابى عبد الله العربى وجماعة من الأفاضل وذكر اليافى رحمه
الله فى كتاب الارشاد انه اجتمع مع الشهاب السهروردى
فأطرق كل واحد منهما ساعة ثم افترقا من غير كلام وقال
ابن الأبار انه لقيه جماعة من العلماء والمتعبدين وأخذوا عنه
وقال ابن النجار اجتمعت به في دمشق فى رحلتي اليها وكتبت
عنه شيئا من شعره ونعم الشيخ هو وقال ابن مسدّى قدم عليه
أشبيلية أبو محمد عبد المنعم ابن محمّد الخزرجي فسمع منه أبو
جعفر بن مصلى وممن أخذ عنه الملك المظفر غازي ابن الملك
العادل أبى بكر بن أيوب واجازه وله مؤلفات كثيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً (اعلم) ان الانسان من بين سائر الحيوان ذو فكر وتمييز وهو أبداً يحب من الأمور أفضلها ومن المراتب أشرفها ومن المقتنيات أنفسها اذا لم يعدل عن التمييز فى اختياره ولم يغلبه هواه فى اتباع أغراضه وأولى ما اختاره الانسان لنفسه ولم يقف دون بلوغ غايته ولم يرض بالتقصير عن نهايته تمامه وكماله ومن تمام الانسان وكماله أن يكون مرتاضاً بمكارم الأخلاق ومحاسنها ومتنزهاً عن مساويها ومقابحها آخذاً فى جميع أحواله بقوانين الفضائل عادلاً في كل أفعاله عن طريق الرذائل فاذا كان ذلك كان واجبا على الانسان أن يجعل قصده اكتساب كل شيمة سليمة من المعائب ويصرف همته إلى اقتناء كل خيم كريم خالص من الشوائب وأن يبذل جهده فى اجتناب كل خصلة مكروهة رديه ويستفرغ وسعه فى إطراح كل خلة مذمومة دنية حتى يحوز الكمال

بتهذيب خلائقه ويكتسي حلل الجمال بدماثة شمائله ويباهى بحق أهل السؤدد والفخر ويلحق بالذرى من درجات النباهة والمجد الا أن المبتدئ بطلب هذه المرتبة والراغب فى بلوغ هذه المنزلة ربما خفيت عليه الخلال المستحسنة التى يعنيه تحريها ولم تتميز له من المستقبحة التى غرضه توقيها (فمن) أجل ذلك وجب أن تقول فى الأخلاق قولاً نبين فيه ما الخلق وما علته وكم أنواعه وأقسامه وما المرضىُّ منها المغبوط صاحبه والمتخلق به وما المشنوءُ منها الممقوت فاعله والمتوسم به ليسترشد بذلك من كانت له همة تسمو الى مباراة أهل الفضل ونفس أبيه تنبو عن مساواة أهل الدناءة والنقص وتدل أيضاً على طريق الارتياض بالمحمود من أنواعه والتدرب به وتنكب المذموم منها وتجنبه حتي يصير المرتاض به ديدناً وعادة وسجية وطبعاً ليهتدى به من نشأ على الاخلاق السيئة وألفها وجرى على العادات الردية وأنس بها ونصف أيضاً الانسان التام المهذب الاخلاق والمحيط بجميع المناقب الجميلة وطريقته التى يصل بها الى التمام وتحفظ عليه الكمال ليشتاق الى صورته من تشوق الى الرتبة العليا ويحن الى احتذاء سيرته من

والفضل

استشرف الى الغاية القصوى . وقد ينتبه بما نذكره من كانت
له عيوب قد اشتبهت عليه وهو مع ذلك يظهر انه فى غاية
الكمال فان من هذه حاله اذا تكرر عليه ذكر الاخلاق
المكروهة تيقظ لما فيه من ذلك وأنف واجتهد فى تركه والتنزه
عنه . وكذلك اذا تصفح الاخلاق المحمودة من كان جامعا
لاكثرها عادماً لبعضها قدم الى التخلق بذلك البعض الذى
هو عادم له وتاقت نفسه الى الاحاطة بجميعها وقد ينتفع بما
تذكره أيضاً من كان فى غاية الكمال فان المهذب الاخلاق الكامل
الآلات الجامع المحاسن اذا مر بسمعه ذكر الخلائق الجميلة
والمناقب النفيسة ورأي أن تلك هى عاداته وسجاياه كانت له
بذلك لذة عجيبة وفرحة مبهجة كما أن الممدوح يسر اذا ذكر
المادح نفسه ونشر فضائله وأيضاً فانه اذا وجد أخلاقه مدونة
فى الكتب موصوفة بالحسن كان ذلك داعياً الى الاستمرار
على سيرته والاصرار على طريقته . وهذا حين ابتدائنا بذكر
الاخلاق (فنقول) ان الخلق هو حال النفس بها يفعل الانسان
أفعاله بلا روية ولا اختيار . والخلق قد يكون فى بعض الناس
غريزة وطبعا وفى بعضهم لا يكون الا بالرياضة والاجتهاد

كالسخاء يوجد فى كثير من الناس من غير رياضة ولا تعمل وكالشجاعة والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من الاخلاق المحمودة . وكثير من الناس يوجدفيهم ذلك بالرياضة . ومنهم من يبقى على عادته ويجرى على سيرته

﴿ فصل فى الاخلاق المذمومة ﴾

(فأما) الاخلاق المذمومة فانها موجودة في كثير من الناس كالبخل والجبن والظلم والشر . فان هذه العادات غالبة على أكثر الناس مالكة لهم . بل قلما يوجد فى الناس من يخلو من خلق مكروه ويسلم من جميع العيوب ولكنهم يتفاضلون فى ذلك وكذلك فى الاخلاق المحمودة قد تختلف الناس ويتفاضلون الآن المجبولين على الاخلاق الجميلة قليلون جداً (وأما) المجبولون على الاخلاق السيئة فأكثر الناس لان الغالب على طبيعة الانسان الشر . وذلك ان الانسان اذا استرسل مع طبعه ولم يستعمل الفكر ولا التمييز ولا الحياء ولا التحفظ كان الغالب عليه اخلاق البهائم لان الانسان انما يتميز عن البهائم بالفكر والتمييز . فاذا لم يستعملها كان مشاركاً للبهائم فى عاداتها والشهوات مستولية عليه والحياء غائب عنه والغضب

يستفزه والسكينة غير حاضرة له والحرص والاحقاد ديدنه والشر لا يفارقه ٠ فالناس مطبوعون على الاخلاق الردية منقادون للشهوات الدنية ٠ ولذلك وقع الافتقار الى الشرائع والسنن والسياسات المحمودة وعظم الانتفاع بالملوك الحسنى السيرة ليردعوا الظالم عن ظلمه ويمنعوا الغاصب عن غصبه ويعاقب الفاجر على فجوره فيقمعوا الجائر حتى يعود الى الاعتدال فى جميع أموره ٠فالاخلاق المكروهة فى طباع الناس الا أن فيهم من يتظاهر بها وينقادلها وهم شرار الناس وفيهم من ينتبه بجودة الفكر وقوة التمييز لقبحها فيأنف منها ويتصنع لاجتنابها وذلك يكون عن طبع كريم ونفس شريفة . وفيهم من لا ينتبه لذلك الا انه اذا نبه عليه أحسن بقبحه فربما حمل نفسه على تركه وفيهم من اذا انتبه لما فيه من النقائص أو نبه عليها ورام العدول عنها تعذر عليه ذلك ولم يطاوعه طبعه وان كان مريداً للعدول عنها مجتهداً فى ذلك وهذه الطائفة تحتاج أن ترشد الى طريق التدرب والتعمل للعادات المحمودة حتى يصير اليها على التدريج ومن الناس من ينتبه للاخلاق الردية أو ينبه عليها فلا يحن الى تجنبها ولا تسمح نفسه بمفارقتها بل يؤثر الاصرار عليها مع علمه

برداءتها وقبحها وهذه طائفة ليس الى تهذيبها طريق الا بالقهر والتخويف والعقوبة ان لم يردعها الترهيب

﴿ فصل فى الاخلاق المحمودة ﴾

(فاما الاخلاق المحمودة) فانها وان كانت فى بعض الناس عزيزة فليست فى جميعهم وان الباقين قد يمكن أن يصيروا اليها بالتدرب والرياضة ويترقوا اليها بالاعتياد والالفة ومع هذا الحال فقد يكون فى الناس من لا يقبل طبعه العادات الحسنه ولا الخلق الجميل وذلك يكون لرداءة جوهره وخبث عنصره وهذه الطائفة من جملة الاشرار الذين لا يرجي صلاحهم وكثير من الناس من يقبل كثيراً من الاخلاق المحمودة وينبو طبعه عن بعضها وليس يعد هذا شريراً ولكن رتبته فى الخير بحسب محاسنه فاما العلة الموجبة لاختلاف الاخلاق وهى النفس فللنفس ثلاث قوى وهى تسمى أيضاً نفوساً . وهى النفس الشهوانية والنفس الغضبية . والنفس الناطقة وجميع الاخلاق تصدر عن هذه القوي فمنها مايختص باحداهن ومنها ما يشترك فيه قوتان ومنها مايشترك فيه القوى الثلاث . ومن هذه القوى مايكون للانسان وغيره من الحيوان ومنها مايختص به الانسان فقط

﴿ فصل فى النفس الشهوانية ﴾

أما النفس الشهوانية فهى للانسان ولسائر الحيوان وهى التى يكون بها جميع اللذات والشهوات الجسمانية كالاقدام الى المآكل والمشارب والمباضعة وهذه النفس قوية جداً متى لم يقهرها الانسان ويهذبها ملكته فاستولت عليه فاذا هى استولت عليه عسر تهذيبها وصعب قمعها وتذليلها فاذا تمكنت هذه النفس من الانسان وملكته وانقاد لها كان بالبهائم أشبه منه بالناس لان اغراضه ومطلوباته وهمته تصير أبداً مصروفة الى الشهوات واللذات فقط وهذه هي عادات البهائم ومن يكون بهذه الصفة يقل حياؤه ويكثر خرقه ويستوحش من أهل الفضل ويميل الى الخلوات وينقبض عن المجالس الحفلة ويبغض أهل العلم ويشنأ أهل الورع والنسك ويود أصحاب الفجور ويحب الفواحش ويكثر ذكرها ويلذ له استماعها ويسر بمعاشرة السفهاء ويغلب عليه الهزل وكثرة اللهو وقد يصير من هذه حالة الى الفجور وارتكاب الفواحش والتعرض للمحظورات وربما دعته محبة اللذات الى اكتساب الأموال من أقبح وجوهها وربما حملته نفسه على الغصب

والتلصص والخيانة وأخذ ماليس له بحق فان اللذات لا تتم الا بالأموال والأعراض فمحب اللذة اذا تعذرت عليه الأموال من وجوهها جسرته شهوته على اكتسابها من غير وجهها ومن تنتهي به شهواته الى هذا الحد فهو أسوأ الناس حالا وهو من الاشرار الذين يخاف خبثهم ويستوحش منهم ويستروح الى البعد عنهم ويصير وَاجبا على متولي السياسات قمعهم وتأديبهم وابعادهم ونفيهم حتى لا يختلطون بالناس فان اختلاط من هذه صفته بالناس مضرة لهم وخاصة لاحداثك فان الحدث سريع الانطباع ونفسه مجبولة الى الميل الى الشهوات فاذا شاهد غيره مرتكباً لها مستحسناً للانهماك فيها مال هو أيضاً الى الاقتداء به والى مساعدة لذته وأما من ملك نفسه الشهوانية وقهرها كان ضابطاً لنفسه عفيفاً فى شهواته محتشماً من الفواحش متوقياً من المحظورات محمود الطريقة فى جميع ما يتعلق باللذات فالعلة الموجبة لاختلاف عادات الناس فى شهواتهم ولذاتهم وعفة بعضهم وفجور بعضهم هو اختلاف أحوال النفس الشهوانية فانها اذا كانت مهذبة مؤدبة كان صاحبها عفيفاً ضابطاً لنفسه واذا كانت مهملة مرسلة مالكة لصاحبها كان

صاحبها فاجراً شريراً . واذا كانت متوسطة الحال كانت رتبة صاحبها فى العفة كرتبتها فى التأدب . فمن أجل ذلك وجب أن يؤدب الانسان نفسه الشهوانية ويهذبها حتي تصير منقادة له ويكون هو مالكها فيستعملها فى حاجاته التى لا غني عنها ويكفها عما لا حاجة له اليه من الشهوات الردية واللذات الفاحشة

﴿ فصل فى النفس الغضبية ﴾

وأما النفس الغضبية فيشترك فيها أيضاً الانسان وسائر الحيوان وهى التى يكون بها الغضب والجراءة ومحبة الغلبة وهذه النفس أقوى من النفس الشهوانية وأضر بصاحبها اذا ملكته وانقاد لها فان الانسان اذا انقاد للنفس الغضبية كثر غضبه وظهر خرقه واشتد حقده وعدم حلمه ووقاره وقويت جراءته وأسرع عند الغضب الى الانتقام والايقاع بمغضبه والوثوب على خصومه فأسرف فى العقوبة وزاد فى التشفى فأكثر السب وأفحش فيه. فاذا استمرت هذه العادات بالانسان كان بالسباع أشبه منه الناس . وربما حمل قوما على حمل السلاح وربما أقدموا على القتل والجراح وربما وثبوا بالسلاح على

اخوانهم وأوليائهم وعبيدهم وخدمهم عند الغضب من اليسير من الأمور وربما غضب من هذه حاله ولم يقدر على الأنتقام من خصمه فيعود بالضرر والسب والالم على نفسه . فنهم من يلطم وجهه وينتف لحيته ويعض يده ويسب نفسه ويذكر عرضه وأيضاً فان من تملكه النفس الغضبية يكون محباً للغلبة متولياً على من آذاه مقدما على كل من ناواه طالبا للترأس من غير وجهه . فاذا لم يتمكن من الرياسة من وجهها توصل اليها بالحيل الخبيثة فاستعمل كل ما يمكنه من الشر وهذه الافعال تورط صاحبها وتوقعه فى المهاوي والمهالك فان من وثب على الناس وثبوا عليه ومن خاصمهم خاصموه ومن أقدم عليهم أقدموا عليه ومن تشرر عليهم قصدوه بالشرور وربما تسفه الانسان على خصمه وكان الخصم أسفه منه فان ناله بسوء قابله ذلك با كثر منه وقد يغلب على من هذه حالة الحسد والحقد والقحة واللجاج والجور وقد يحمل هؤلاء محبة الغلبة وطلب الرياسة على اكتساب الاموال من غير وجهها وأخذها بالغلبة والظلم وربما قتلوا على محبة الغلبة من يناوئهم وربما فعلوا ذلك من غير روية فيؤل الأمر بهم الى البوار والاستئصال . فأما من ساس

نفسه الغضبية وأدبها وقمعها كان رجلاً حليماً وقوراً عادلاً محمود الطريقة فالعلة الموجبة لاختلاف عادات الناس في غيظهم وسفاهة بعضهم هو اختـلاف أحوال النفس الغضبية اذا كانت مذللة مقهورة كان صاحبها حليماً وقوراً واذا كانت مهملة مستولية على صاحبها كان صاحبها غضوباً سفيهاً ظلوماً غشوماً واذا كانت متوسطة كان صاحبهامتوسط الحال رتبته فى الحلم كرتبة نفسـه الغضبية حتى تنقاد له فيملـكها ويستعملها فى المواضع التى يجب استعمالها فيها فان لهذه النفس فضائل محمودة وذلك لان الانفة من الأمور الدنية ومحبة الرياسة الحقيقية وطلب المراتب العالية من الأخلاق المحمودة وهى فى أفعـال النفس الغضبية فاذا ملك هذه بالتأديب والتهذيب واستعملها في الأمور الجميلة وكفها عن الأفعال المكروهة كان حسن الحال محمود الطريقة

﴿ فصل فى النفس الناطقة ﴾

وأما النفس الناطقة وهى التى بها تميز الانسان من جميع الحيوان وهي التي بها يكون الذكر والتميز والفهم وهى التى بها شرف الانسان وعظمت همته فأعجب بنفسه وهى التى بها يستحسن المحاسن ويستقبح القبائح وبها يمكن الانسان أن

يهذب قوتيه الباقيتين وهي الشهوانية والغضبية ويكفهما ويضبطهما وبها يفكر في عواقب الأمور فيبادر باستدراكها في أوائلها ولهذه النفس أيضاً فضائل ورذائل أما فضائلها فباكتساب العلوم والآداب وكف صاحبها عن الرذائل والفواحش وقهر النفسين الأخرين وتأديبهما وسياسة صاحبهما في معاشه ومكسبه ومروءته وتجمله وحث صاحبها على فعل الخير والتودد والرقة وسلامه النية والحلم والحياء والنسك والعفة وطلب الرياسة من الوجوه الجميلة وأما رذائلها فالخبث والحيلة والخديعة والملق والمكر والحسد والتشرر والرياء وهذه النفس هي لجميع الناس الآن منهم من تغلب عليه فضائلها فيستحسنها ويستعملها ومنهم من تغلب عليه رذائلها فيألفها ويستمر عليها ومنهم من يجتمع فيه بعض الفضائل وبعض الرذائل وهذه العادات قد تكون في كثير من الناس سجية وطبعاً لا بتكلف فأما المطبوع على العادات الجميلة فمنها ما يكون لقوة نفسه الناطقه عنصرياً وأما المطبوع على العادات المكروهة فلضعف نفسه الناطقة وسوء جوهره وأما الذى يجتمع فيه فضائل ورذائل فهو الذي تكون نفسه الناطقة متوسطة الحال وقد يكتسب أكثر الناس هذه

العادات وجميع الأخلاق جميلها وقبيحها اكتساباً وذلك يكون بحسب منشئ الانسان وأخلاق من يحيط به ويشاهده ويقرب منه وبحسب رؤساء وقته ومن يشار اليه بالنباهة ويغبط على رتبته فان الحدث الناشيء يكتسب الأخلاق ممن يكثر ملابسته ومخالطته ومن أبويه وأهله وعشيرته فاذا كان هؤلاء سيئي الأخلاق مذمومي الطريقة كان الحدث الناشيء بينهم أيضاً سيء الأخلاق مكروه العادات واذا لحظ الحدث أيضاً اهل الرياسة ومن فوقه وغبطهم على مراتبهم آثر التشبه بهم والتخلق باخلاقهم . فاذا كانوا مهذبي الأخلاق حسني السيرة كان المتشبه بهم حسن الاخلاق مرضيّ الطريقة وان كانوا اشراراً جهالاً خرج الغابط لهم السالك طريقهم شريراً جاهلاً وهذه حال أخلاق أكثر الناس فان الجهل والشر والخبث والشره والحسد غالب عليهم والناس بالطبع يقتدى بعضهم ببعض ويحتذي التابع أبداً سيرة المتبوع واذا كان الغالب عليهم الشر والجهل كان واجباً أن لا يقتدى احداثهم وأولادهم واتباعهم بهم . فالعلة الموجبة لاختلاف قوة النفس اختلاف الناس فى سياساتهم وفضائلهم وغلبة الخير والشر عليهم من اختلاف قوة النفس

الناطقة فيهم اذا كانت خيرة فاضلة قاهرة للنفسين الباقيتين كان صاحبها خيراً عادلاً حسن السيرة واذا كانت شريرة خبيثة مهملة للنفسين الآخريين كان صاحبها شريراً خبيثاً جاهلا . فمن أجل ذلك وجب أن يعمل الانسان فكره ويميز أخلاقه ويختار منها ما كان جيداً مستحسناً جميلاً وينفى منها ما كان مستنكراً قبيحاً ويحمل نفسه على التشبه بالاخيار ويتجنب كل التجنب عادات الأشرار . فانه اذا فعل ذلك صار بالانسانية متحققاً وللرياسة الذاتية مستحقا

﴿ فصل فى أنواع الاخلاق وأقسامها ﴾

فأما أنواع الاخلاق وأقسامها وما المستحسن منها وما المستحب اعتياده وبعد فضائل وما المستقبح منها وما المكروه وبعد نقائص ومعائب فهى الانواع التي نحن واصفوها أما التي تعد فضائل فان منها العفة وهى ضبط النفس عن الشهوات وقسرها على الاكتفاء بما يقيم أود الجسد ويحفظ صحته واجتناب السرف والتقصير فى جميع اللذات وقصد الاعتدال وأن يكون ما يقتصر عليه من الشهوات على الوجه المستحب المتفق على ارتضائه وفى أوقات الحاجة التى لا غني عنها وعلى القدر الذى

لا يحتاج الى أكثر منه ولا يحبس النفس والقوة أقل منه وهذه الحال هى غاية العفة (ومنها) القناعه وهى الاقتصار على ما سنح من العيش والرضى بما يسهل من المعاش وترك الحرص على اكتساب الأموال وطلب المراتب العالية مع الرغبة فى جميع ذلك وايثاره والميل اليه وقهر النفس على ذلك والتمتع باليسير منه . وهذا الخلق مستحسن من أوساط الناس وأصاغرهم وأما الملوك والعظماء فليس ذلك مستحبا منهم ولا تعد القناعة من فضائلهم . (ومنها) التصون . وهو التحفظ من التبذل . فمن التصون التحفظ من الهزل القبيح ومخالطة أهله وحضور مجالس وضبط اللسان من الفحش وذكر الخنا والقبيح والمزاح السخيف . وخاصة فى المحافل ومجالس المحتشمين . ولا أبهة لمن يسرف فى المزاح ويفحش فيه ومن التصون أيضاً الانقباض عن أدنياء الناس وأصاغرهم ومصادقتهم ومجالستهم والتحرز من المعايش الردية واكتساب الأموال من الوجوه الخسيسة والترفع عن مسئلة الحاجات للئام الناس وسلتهم والتواضع لمن لاقدر له والاقلال من مبروز من غير حاجة والتبذل بالجلوس فى الاسواق وقوارع الطرق من غير

اضطرار . فان الاكثار من ذلك مخل . وأعظم الناس قدراً عند الخلق من ظهر اسمه وخفي شخصه . وأما الحلم وهو ترك الانتقام عند شدة الغضب مع القدرة على ذلك وهذه محمودة مالم تؤد الى ثلم جاه أوفساد سياسة . وهى بالرؤساء والملوك أحسن لأنهم أقدر على الانتقام من مغضبيهم ولا يعد فضيلة حلم الصغير عن الكبير وان كان قادراً على مقابلته فى الحال . فانه وان أمسك فانما يعد ذلك خوفا لاحلما ومنها الوقار وهو الامساك عن فضول الكلام والعبث وكثرة الاشارة والحركة فيما يستغنى عن الحركة فيه وقلة الغضب والاصغاء عند الاستفهام والتوقف عند الجواب والتحفظ عن التسرع والمبادرة فى جميع الأمور . ومن قبيل الوقار أيضاً الحياء . وهو غض الطرف والانقباض عن الكلام حشمة للمستحى منه . وهذه العادة محمودة مالم تكن عن عيّ ولا عجز . ومنها الود وهى المحبة المعتدلة من غير اتباع الشهوة والود مستحسن من الانسان اذا كان وده لاهل الفضل والنبل وذوى الوقار والابهة والمتميزين من الناس . وأما التودد الي أراذل الناس وأصاغرهم والاحداث والنسوان

وأهل الخلاعة فمكروه جداً وأحسن الود ماينتجه بين متآلفين مناسبة الفضائل . وهو أوثق الود وأثبته وأما ماكان ابتداؤه اجتماعا على هزل اولطلب لذة فليس هو محموداً وليس بباق ولاثابت . ومنها الرحمة وهو خلق مركب من الود والجزع . والرحمة لاتكون الالمن ظهر منه لراحمه خلة مكروهة اما نقيصة وأما محنة عارضة . مالرحمة هى محبة للمرحوم مع جزع من الحال التى من أجلها رحم . وهذه الحال مستحسنة مالم تخرج بصاحبها عن العدل ولم تنته به الى الجور والى فساد السياسة فليس بمحمود رحمة القاتل عندالقود والجانى عند القصاص . ومنها الوفاء وهو الصبر على مايبذله الانسان من نفسه ويرهن به لسانه والخروج مما يضمنه وان كان مجحفا به فليس يعد وفياً من لم يلحقه بوفائه أذية وان قلت . وكلما اضر به الدخول تحت ما يحكم به على نفسه كان أبلغ فى الوفاء . وهذا الخلق محمود ينتفع به جميع الناس . فان من عرف بالوفاء كان مقبول القول عظيم الجاه الا أن انتفاع الملوك بهذا الخلق أكثر وحاجتهم اليه أشد . وأنه متى عرف منهم قلة الوفاء لم يوثق بمواعيدهم ولم تتم أغراضهم ولم يسكن

اليهم جندهم واعوانهم . ومنها أداء الأُمانة . وهو التعفف عما
يتصرف الانسان فيه من مال وغيره وما يوثق به وعليه من
الاعراض والحرم مع القدرة عليه ورد ما يستودع الى مودعه .
ومنها كتمان السّر وهذا الخلق مركب من الوقار وأداء
الامانة . فان اخراج السّر من فضول الكلام . وليس بوقور
من تكلم بالفضول . وأيضاً فكما أن من استودع مالا
فأخرجه الى غير مودعه فقد خفر الامانة كذلك من استوع
سراً فأخرجه الى غير صاحبه فقد خفر الامانة . وكتمان السر
محمود من جميع الناس وخاصة ممن يصحب السلطان فان
اخراجه أسراره مع أنه قبيح يؤدى الى ضرر عظيم يدخل
عليه من سلطانه . ومنها التواضع وهو ترك الترأس وأظهار
الخمول وكراهية التعاظم والزيادة فى الاكرام وان يتجنب
الانسان المباهاة بما فيه من الفضائل والمفاخرة بالجاه والمال
وان يتحرز من الاعجاب والكبر . وليس يكون حسن
التواضع الا فى أكابر الناس ورؤسائهم وأهل الفضل والعلم
وأما سوى هؤلاء فليس يكونون متواضعين لان الضعة هى
محلهم ورتبتهم فهم غير متضعين لها . ومنها البشر وهو اظهار

السرور بمن يلقاه الانسان من اخوانه وأودائه وأصحابه وأوليائه ومعارفه والتبسم عند اللقاء وهذا الخلق مستحسن من جميع الناس وهو من الملوك والعظماء أحسن . فان البشر في الملوك يتألف به قلوب الرعية والأعوان والحاشية ويزداد به تحبباً اليهم . وليس سعيداً من الملوك من كان متبغضاً الى رعيته . وربما أدي ذلك الى فساد أمره وزوال ملكه . ومنها صدق اللهجة وهو الأخبار عن الشيء على ماهو به . وهذا الخلق مستحسن مالم يؤد الى ضرر مجحف . فانه ليس بمستحسن صدق الانسان ان سئل عن فاحشة كان ارتكبها . فانه لا يفي حسن صدقه بما يلحقه في ذلك من العار والمنقصة الباقية اللازمة . وكذا ليس يحسن صدقه متى سئل عن مستجير استجاره فاخفاه ولا ان سئل عن جناية متى صدق عنها عوقب عليها بعقوبة مؤلمة . والصدق مستحسن من جميع الناس وهو من الملوك والعظماء أحسن . بل لا يسعهم الكذب مالم يعد الصدق عليهم بضرر . ومنها سلامة النية وهو اعتقاد الخير لجميع الناس وتجنب الخبث والغيبة والمكر والخديعة . وهذا الخلق محمود من جميع الناس

الا أنه ليس يصلح للملوك التخلق به دائما ولا يتم الملك الا باستعمال المكر والحيل والاغتيال مع الاعداء ولكن لا يحسن بهم استعماله مع أوليائهم وأصفيائهم وأهـل طاعتهم . ومنها السخاء وهو بذل المال من غير مسئلة ولا استحقاق وهذا الفعل مستحسن ما لم ينته الى السرف والتبذير فان بذل جميع ما علك لمن لا يستحقه لم يسم سخياً بل يسمى مبذراً مضيعاً والسخاء فى سائر الناس فضيلة مستحسنة فاما فى الملوك فأمر واجب لان البخل يؤدى الى الضرر العظيم فى ملكهم والسخاء والبذل يرتهن به قلوب الرعية والجند والاعوان فيعظم الانتفاع به ومنها الشجاعة وهو الاقدام على المكاره والمهالك عند الحاجة الى ذلك وثبات الجاش عند المخاوف والاستهانة بالموت وهذا الخلق مستحسن من جميع الناس وهو بالملوك وأعوانهم أليق وأحسن بل ليس بمستحق للملك من عدم هذه الخلة وأكثر الناس اخطاراً وأحوجهم الى اقتحام الغمرات هم الملوك فالشجاعة من أخلاقهم الخاصة بهم . ومنها المنازعة وهو منازعة النفس فى التشبه بالغير فيما يراه له وهو يرغب فيه لنفسه والاجتهاد فى الترقى الى درجة أعلا من درجته وهذا الخلق محمود اذا كانت المنافسة فى الفضائل

والمراتب العالية وما يكسب مجداً وسوُدداً فأما فى غير ذلك من اتباع الشهوات والمباهاة باللذات والزينة والبزة فمكروه جداً . ومنها الصبر عند الشدة وهذا الخلق مركب من الوقار والشجاعة ومستحسن جداً ما لم يكن الجزع نافعاً ولا الحزن والقلق مجديا ولا الحيلة والاجتهاد دافعة ضرر تلك الحالة . وما أقبح الجزع اذا لم يكن مفيداً . ومنها عظمة الهمة وهو استصغار ما دون النهاية من معالى الأمور وطلب المراتب السامية واستحقار ما يجود به الانسان عند العطية والاستخفاف باوساط الأمور وطلب الغايات والتهاون بما يملكه وبذل ما يمكنه لمن يسأله من غير امتنان ولا اعتداد به وهذا الخلق من أخلاق الملوك خاصة وقد يحسن بالرؤساء والعظماء ومن تسمو نفسه الى مراتبهم ومن عظم الهمة الانفة والحمية والغيرة . والانفة هو نبو النفس عن الامور الدنية والحمية والغيرة جميعاً هما الغضب عند الاحساس بالنقص . وانما يلحق الانسان الغيرة على الحرم لان فى التعرض لهن عاراً ومنقصة فان المتعرض للحرم مهتضم لصاحبهن ومتصرف فى حق له والاهتضام نقيصة ومن عظم الهمه الانفة من الاهتضام ودخول النقص

وهذا الخلق مستحسن من جميع الناس . ومنها العدل وهو التوسط اللازم للاستواء وهو استعمال الامور فى مواضعها وأوقاتها ووجوهها ومقاديرها من غير سرف ولا تقصير ولا تقديم ولا تأخير . (فأما الاخلاق الردية) التى تعد نقائص ومعايب فان منها الفجور وهو الانهماك فى الشهوات والاستكثار منها والتوفر على اللذات والادمان عليها وارتكاب الفواحش والمجاهرة بها وبالجملة السرف فى جميع الشهوات وهذا الخلق أبداً يهدم الحياء ويذهب ماء الوجه ويخرق حجاب الحشمة . ومنها الشره وهو الحرص على اكتساب الاموال وجمعها وطلبها من كل وجه وان قبح التعسف في اكتسابها والمكالبة عليها والاستكثار من القنيه وادخار الاعراض . وهذا الخلق مكروه فى جميع الناس الا من الملوك فان كثرة الاموال والذخائر والاعراض تعين على الملك وتزين الملوك وتزيدهم هيبة فى نفوس رعيتهم وأعوانهم وأعاديهم وأضدادهم : ومنها التبذل وهو اطراح الحشمة وترك التحفظ عن الهزل واللهو ومخالطة السفهاء وحضور مجالس السخف والهزل والفواحش والتفوه بالخنا وذكر

الاعراض والمزح والجلوس فى الاسواق وعلى قوارع الطرق والتكسب بالمعاش الردىء والتواضع للسفلة وهذا الخلق قبيح بجميع الناس : ومنها السفه وهو ضد الحلم وهو سرعة الغضب والطيش من يسير الامور والمبادرة فى البطش والايقاع بالمؤذى والسرف فى العقوبة واظهار الجزع من أدنى ضرر والسب الفاحش وهذا الخلق مستقبح من كل أحد الا أنه من الملوك والرؤساء أقبح . ومنها الخرق وهو كثرة الكلام والتحرك من غير حاجة وشدة الضحك والمبادرة الى الامور من غير توقف وسرعة الجواب وهذا الخلق مستقبح من كل أحد وهو بأهل العلم وذوى النباهة أقبح ومن قبيل الخرق القحة وهو قلة الاحتشام لمن يجب احتشامه والمجاهرة بالجوابات الفظة المستشنعة . وهذا الخلق مكروه وخاصة بذوى الوقار ومنها العشق وهو افراط الحب والسرف فيه وهذا الخلق مكروه على جميع الاحوال إلا أن أقبحه وأشره ما كان مصروفا الى طلب اللذة واتباع الشهوة الردية وقد يحمل صاحبه على الفجور وارتكاب الفواحش وكثرة التبذل وقلة الحياء ويكسبه عادات ردية وهو بكل أحد قبيح الا أنه بالاحداث والمترفهين

والمتنعمين أقل قبحا . ومنهـا القساوة وهو خلق مركب من البغض والشجاعة والقساوة هو التهاون بما يلحق الغـير من الألم والاذى وهذا الخلق مكروه من كل أحد الامن الجندى وأصحاب السـلاح والمتولين الحروب فان ذلك غير مكروه منهم اذا كان فى موضعه . ومنها الغدر وهو الرجوع عما يبذله الانسان من نفسه ويضمن الوفاء به وهـذا الخلق مستقبح وان كان لصاحبـه فيه مصلحة ومنفعة وهو بالملوك والرؤساء أقبح وبهم أضر فان عرف من الملك الغدر لم يسكن اليه أحد ولم يثق به واذا لم يسكن اليه فسد نظام ملكه . ومنها الخيانة وهو الاستبداد بما يؤتمن الانسان عليه من الأموال والأعراض والحرم وتملك ما يسـتودع ومجاهدة مودعة ومن الخيانة أيضاً طى الاخبار اذا بدت مصلحة لتأديتها وتحريف الرسائل اذا تحملها وصرفها عن وجهها وهـذا الخلق أعنى الخيـانة مكروه من جميع النـاس يثلم الجاه ويقطع وجوه المعايش . ومنها افشاء السر . وهذا الخلق مركب من الخرق والخيانة فانه ليس بوقور من لم يضبط لسانه ولم يتسع صـدره لحفظ ما يستسر به . والسر أحد الودائع وافشاؤه نقيصة على صاحبه

فالمفشى للسر خائن . وهذا الخلق قبيح جداً وخاصة ممن يصحب السلاطين ويداخلهم . ومن قبيل افشاء السر النميمة وهو أن يبلغ انساناً عن آخر قولا مكروها وهذا الخلق قبيح جداً وان لم يستسر أيضاً بما يسمعه أو يبلغه فنقله الى من يكرهه قبيح لان فى ذاك ايقاع وحشة بين المبلغ والمبلغ عنه وذلك غاية التشرر . ومنها الكبر وهو استعظام الانسان بنفسه واستحسان ما فيه من الفضائل والاستهانة بالناس واستصغارهم والترفع على من يجب التواضع له . وهذا الخلق مكروه ضار لصاحبه لان من أعجبته نفسه لم يستزد من اكتساب الأدب ومن لم يستزد بقى عليه نقصه. فان الانسان ليس يخلو من النقص وقلما ينتهى الى غاية الكمال . وأيضاً فان هذا الفعل يبغضه الى الناس ومن أبغضه الناس ساءت حالة . ومنها العبوس وهو التقطيب عند اللقاء وقلة التبسم واظهار الكراهية وهذا الخلق مركب من الكبر وغلظ الطبع فان قلة البشاشة هى الاستهانة بالناس والاستهانة بالناس تكون من الاعجاب والكبر وقلة التبسم أيضاً وخاصة عند لقاء الاخوان يكون من غلظ الطبع وهذا الخلق مستقبح

وخاصة بالرؤساء والافاضل . ومنها الكذب وهو الأخبار عن الشيء بخلاف ماهو عليه . وهذا الخلق مكروه مالم يكن لدفع مضرة لا يمكن أن تدفع الا به واجترار نفع لا غنى عنه ولا يوصل اليه الا به . فان الكذب عند ذلك ليس بمستقبح وانما يستقبح الكذب اذا كان عبثاً ولنفع يسير لاخطر له لا يفي بقباحة الكذب والقبح بالملوك والرؤساء أكثر لان اليسير من النقص يشينهم . ومنها الخبث . وهو اضمار الشر للغير واظهار الخير له واستعمال الغيلة والمكر والخديعة فى المعاملات وهذا الخلق مكروه من جميع الناس الا من الملوك والرؤساء فانهم اليه مضطرون . واستعمالهم اياه مع اضدادهم واعدائهم لا يستقبح . فاما مع أوليائهم وأصحابهم فانه غير مستحسن . ومن قبيل الخبث الحقد . وهو اضمار الشر للجانى اذا لم تمكن من الانتقام منه فاخفى تلك الاحقاد الى وقت امكان الفرصة وهذا الخلق من أخلاق الاشرار وهو مذموم جداً . ومنها البخل . وهو منع المسترفد مع القدرة على رفده وهذا الخلق مكروه من جميع الناس الا أنه من النساء كمال وأما سائر الناس فان البخل يشينهم وخاصة الملوك والعظماء

فان البخل يغض منهم أكثر مما يغض من الرعية والعوام ويقدح فى ملكهم لانه يقطع الاطماع منهم ويبغضهم الى رعيتهم . ومنها الجبن وهو الجزع عند المخاوف والاحجام عما تحزر عاقبته ولا تؤمن مغبته وهذا الخلق مكروه من جميع الناس الا أنه بالملوك والجند وأصحاب الحروب أضر . ومنها الحسد وهو التألم بما يراه الانسان لغيره من الخير وما يجده فيه من الفضائل والاجتهاد فى اعدام ذلك الغير ما هو له . وهذا الخلق مكروه وقبيح بكل أحد . ومنها الجزع عند الشدة . وهذا الخلق مركب من الخرق والجبن . وهو يستقبح اذا لم يكن مجديا ولا مفيداً فأما اظهار الجزع لتعمل حيلة بذلك عند الوقوع فى الشدة واستغاثة مغيث أو اجتلاب معين فيما تغني فيه المعاونة فغير مكروه ولا يعد نقيصة . ومنها صغر الهمة . وهو ضعف النفس عن طلب المراتب العالية وقصور الأمل عن بلوغ الغايات واستكثار اليسير من الفضائل واستعظام القليل من العطايا والاعتداد به والرضى بأوساط الأمور وأصاغرها وهذا الخلق قبيح بكل أحد . وهو بالملوك أقبح بل ليس يستحق الملك من صغرت همته . ومنها الجور

وهو الخروج عن الاعتدال فى جميع الأمور والسرف والتقصير وأخذ الاموال من غير وجهها والمطالبة بما لا يجب من الحقوق وفعل الاشياء فى غير مواضعها ولا أوقاتها ولا على القدر الذى يجب وعلى الوجه الذى يجب (ومن الاخلاق) ماهو فى بعض الناس فضيلة وفى بعضهم رذيلة . فمنها حب الكرامة وهو ان يسر الانسان بالتعظم والتبجيل والمقابلة بالمديح والثناء الجميل . وهذا الخلق محمود فى الاحداث والصبيان لان محبة الكرامة تحثهم على اكتساب الفضائل . وذلك أن الحدث والصبي اذا مدح على فضيلة ترى فيه كان ذلك داعياً له من الازدياد من الفضائل . وأما الأفاضل من الناس فان ذلك يعد منهم نقيصة لان الانسان انما يمدح على الفضيلة اذا كانت مستغربة منه واذا كان من أهل الفضل فليس ينبغى ان يسر بان يستغرب ما يظهر منه من الفضائل وكذلك الاكرام والتبجيل اذا كان زائد على استحقاقه فانه يجرى مجرى الملق والسرور بالملق غير محمود لانه من جنس الخديعة ومنها حب الزينة وهو التصنع بحسن البزة والركوب والآلات وكثرة الخدم والحشم : وهذا مستحسن من الملوك

وخاصة من لم يرض نفسها ويؤدبها فان لم يتعمل لضبط نفسه ويفتقد من عيوبه لم يخل من عيوب كثيرة وان لم يحس بها ولم يفطن لها فان كان الأمر على ما ذكرنا كان الأجدر بالأنسان أن يتفقد أخلاقه ويتأمل عيوبه ويجتهد فى اصلاحها وينفيها عن نفسه ويتبع الأخلاق المحمودة ويحمل نفسه على اعتيادها والتخلق بها فان الناس انما يتفاضلون على الحقيقة بفضائلهم لا كما يعتقد الجهال والعامة أنهم يتفاضلون بأحوالهم وأموالهم وكثرة الذخائر والاعراض فان اكثر الناس انما يتفاخرن وبالذخائر والاموال والآلات ويعظمون ابداً الاغنياء وذوى الاحوال ولا يترتب بعضهم على بعض الا بكثرة الأموال وبالجاه المكتسب بالمال وليس كثرة الأموال مما تتفاضل بها أحوال الناس فاما نفوسهم فليس تكون أفضل من نفوس غيرهم بكثرة الأموال وذلك ان الفاجر السفيه الجاهل الشرير وان حوى أموالا عظيمة فليس يكون أفضل من الضعيف الحكيم العالم الخبير وان كان فقيراً بل انما يكون بكثرة الأموال أغنى منه فاما فى الفضل فليس يكون أحد أفضل من أحد الا بكثرة الفضائل فقط.

فان اجتمع للانسان مع أخلاقه الجميلة والعادات المستحسنة الغنى

والثروة فلعمري أنه يكون أحسن حالاً من الفاضل المقتر لانه من سعادات الانسان أيضاً وخاصة اذا كان فاضلاً عادلا عفيفا وأنه يصرف ماله فى وجوهه وينفقه في حقوقه ويتفقد به من يجب تفقده ويسعف به أهل المسكنة ولا يعقد عما يجب فارق صاحبه سقطت منزلة صاحبه من نفوس الناس وساوى العامة والسوقة لانه أذا رأس بالمال المعظم له هو ماله لا نفسه فاذا زال ذلك المال لم يبق له شيء يعظم من أجله . وليس كذلك الفاضل النفس المهذب الأخلاق فان هذا رياسته بفضائله وفضائله غير مفارقة له فهو رئيس ما دام ومعظم لذاته لا لشيء من خارج ولان الراغب فى سياسة نفسه المؤثر تهذيب أخلاقه اذا نبه على خلق مذموم يجده في نفسه وأحب اجتنابه ربما صعب الانتقال عنه من أول وهلة . وربما لم ينل التخلص منه ولم يطاوعه طبعه وربما استحسن أيضاً خلقاً محموداً لا يجده لنفسه وآثر التخلص به ولم تستجب له عادته ولم يصل الى مراده فوجب ان يرسم للراغبين فى السياسة المحمودة طرق يتدربون بها ويتدرجون فيها حتى ينتهوا الي مرادهم من اعتياد الاخلاق الجميلة والانطباع بها وتجنب الاخلاق القبيحة

والتفرغ منها (فنذكر) من أجل ذلك

فصل في طريق الارتياض بالاخلاق والتعمل لاعتيادها

وقد ذكرنا فيما تقدم ان سبب اختلاف الاخلاق فى الناس هو اختلاف قوى النفس الثلاث فيهم . وهى الشهوانية . والغضبية . والناطقة وان ملاك الاخلاق هو تذليل الشهوانية منها والغضبية وتمييز عادات النفس الناطقة واستعمال المحمود من أفعالها وطريق التدرج لاستعمال العادات الجميلة والعدول عن العادات المستقبحة هو التدرج في تذليل هاتين القوتين . (اما النفس الشهوانية) فالطريق الى قمعها ان يتذكر الانسان فى وقت شهواته وعند شدة القدوم الى لذاته انه يريد تذليل نفسه الشهوانية فيعدل عما تاقت نفسه اليه من الشهوة الردية الى ما هو مستحسن من جنس تلك الشوة متفق على ارتضائه فيقتصر عليه فان بذلك الفعل تنكسر شهوته ثم يعللها ويعدها فان سكنت والا عاود الفعل من الوجه المستحسن فانه اذا فعل ذلك وتكرر فعله كفت النفس وان استمر على هذه الحالة الفت النفس هذه العادة وآنست بها واستوحشت مما سواها (وينبغي) لمن اراد قمع نفسه الشهوانية أن يكثر من مجالسة الزهاد والرهبان والنساك

وأهل الورع والواعظين ويلازم مجالسة الرؤساء وأهل العلم فان وخاصة رؤساء الذين يعظمون من كان معروفاً بالعفة الرؤساء ويستزرون من كان فاجراً متهتكاً وملازمته لهذه المجالس تضطره الى التصون والتعفف والتجمل لاولئك لئلا يستزروه ويغضوا منه وليلحق برتبة من يعظم فى المحافل (وينبغى) له أيضاً ان يديم النظر فى كتب الاخلاق والسياسة وأخبار الزهاد والرهبان والنساك وأهل الورع ويجب عليه ان يتجنب مجالس الخلعاء والسفهاء والمتهتكين ومن يكثر الهزل واللعب واكثر ما يجب عليه تجنب السكر فان السكر من الشراب يثير نفسه الشهوانية ويقويها ويحملها على التهتك وارتكاب الفواحش والمجاهرة بها وبذلك ان الانسان انما يرتدع عن القبائح بالعقل والتمييز واذا سكر عدم ذلك الذى كان يردعه عن الفعل القبيح فلا يبالى أن يرتكب كل ما كان يتجنبه فى صحوه فأولى الاسباب لمن طلب العفة هجر الشراب بالجملة وان لم يمكنه فليقتصر على اليسير منه ويكون فى الخلوات أو مع من لا يحتشمه ويتجنب مجالس المجاهرين بالشراب والسكر والخلاعة ولا يظن انه ان حضر تلك المجالس واقتصر على اليسير من الشراب لم

يستضر به فان هذا غلط وذلك أن من حضر مجالس الشراب ليس تنقاد له نفسه الى القناعة بيسير الشراب بل ان حضر مجالس الشراب وكان فى غاية العفة تاركاً للشراب متمسكاً بالورع حملته شهوته على التشبه بأهل المجلس وتاقت نفسه الى الفعل وما هو أكثر من ذلك وتهتك بعد الستر والصيانة فسيمة أحوال من طلب العفة عدم حضور مجالس الشراب ومخالطة أهلها والاستكثار من معاشرتهم (وينبغى) لمن أراد قمع نفسه الشهوانية أن يقل من استماع السماع وخاصة النسوان والشابات منهن المتصنعات فان للسماع قوة عظيمة فى اثارة الشهوة فاذا انضاف الى ذلك أن تكون السمعة مشتهاة متعلمة لاستمالة العيون اليها اجتمع على السماع حوادث كثيرة فربما لم يستطع دفع جميعها عن نفسه والأولى لمن هم بقهر الشهوة أن يتجنب السماع وان لم يكن منه بدّ ولم تستجب نفسه الى هجره بالكلية فليقتصر على استماعه من الرجال ومن لا مطمع للشهوة فيه والاقلال منه خيرا أوصون للمتعفف . فاما الطعام فينبغى ان يعلم ان غايته هو الشبع لدفع ألم الجوع فخير الطعام ورديه جميعاً مشبعان فليس للمبالغة

فى تجويد الطعام كبير حظ والاولى هو التوسط في أنواع المأكل وأن يكون فى الجنس الذي نشأ عليه الانسان واعتاده والفه على أن الشهوة الطعام والنهم فيه وان كان من الاخلاق ادية فهو أسهلها وأهونها وليس يكسب صاحبها من العار مايكسبه محبة الشراب والمباضعة ومعاشرة النسوان ومصاحبة الاحداث المتهيئين للفواحش فان ذلك فى غاية القبح وشهوة المأكل أقل قبحاً منه وأخف على فاعله وهو مع ذلك قبيح والاستهتار به وكثرة النهم والشره اليه مكروه وطريق التدرج الى الاقتصاد فى الطعام هو ان يبادر ذو الشهوة الى أى شئ وجده من المأكل فان كان المشتهى الذي تاقت نفسه اليه حلواً فالى أى حلاوة وجدها وان كان غير ذلك فالى مايشابهه فى الطعم فانه اذا تناول من الطعام مايشبهه ذلك المشتهي فى الطعم فان شهوته تسكن ونفسه تكف (وينبغى) لمن أحب العفه ان يكون أبداً متيقظاذا كرالما يلحق الفاجر والنهم والشره والمتهتك من القباحة والعار ويجعل ذلك ديدنه وشماره فان نفسه تبغض الشهوات وتشتاق الى التعفف والقناعة وتطرب عند العدول عن الفواحش مع القدرة عليها وترتاح

لما ينشر عنها ويبلغها عن الناس من الثناء الجميل على صاحبها فهذا الذى ذكرنا هو طريق رياضة النفس الشهوانية وتذليلها وقمعها وهو طريق الارتياض بالعادات المحمودة المرضية فيما يتعلق بالشهوات واللذات فاما النفس الغضبية فان الطريق فى قمعها وتذليلها هو أن يصرف الانسان همته الى أن يتفقد السفهاء الذين يسرع اليهم الغضب فى أوقات طيشهم وحدتهم وتسفههم على خصومهم وعقوبتهم لخدمهم وعبيدهم فانه يشاهد منهم منظراً شنيعاً يأنف منه الخاص والعام فان تذكر ماشاهد فى أوقات غضبه وعند جنايات خدمه وعبيده وعند ذنوب اخوانه وأودائه وفى جميع محاوراته ومعاملاته فانه اذا تذكر ما كان استقبحه من السفهاء انكسرت بذلك سورة غضبه واحجم عما هم بالاقدام عليه من السب والوثوب فان لم يكف بالكلية اقصر ولو ان غاية الفحش (وينبغى) لمن اراد أن يقهر نفسه الغضبية أن يذكر أوقات غضبه على من يؤذيه أو يجنى عليه انه لو كان هو الجانى ما الذى كان يستحق على جنايته فانه بهذا الفعل يعتقد أن درك تلك الجناية أو ارش ذلك الاذى يسير جداً فاذا اعتقد ذلك كانت مقابلته للجانى والمؤذى بحسب اعتقاده

فلا يسرف فى الانتقام ولا يفحش فى الغضب فاذا فعل ذلك
دائماً وجعله ديدناً وتفقد معائب السفهاء ومن يسرع اليه الغضب
لم يبعد ان تنكسر نفسه الغضبية وتنقاد له فاذا استمر على
ذلك مدة صار خلقا وعادة ٠ (وينبغى) لمن يرغب فى تذليل نفسه
الغضبية أن يتجنب حمل السلاح وحضور مواضع الحروب
ومقامات الفتن ومجالسة الاشرار ومعاشرة السفهاء ومخالطة
الشرط فان هذه المواضع تكسب القلب قساوة وغلظة وتعدمه
الرأفه والرحمة فتقسوا لذلك نفسه الغضبية فاذا كان يريد تذليها
وتسكينها وجب ان يجعل مجالسته لاهل العلم وذوى الوقار
والشيوخ والرؤساء والافاضل ومن يقل غضبه ويكثر حلمه
ووقاره (وينبغى) له أيضاً ان يتجنب السكر من الشراب فان
السكر يهيج النفس الغضبية أكثر مما يهيج الشهوانية وبذلك
ربما يسرع الى العربدة والوثوب على جلسائه والاستخفاف
بهم وسبهم وذكر أعراضهم بعد ان كان يحنن عليهم ويتودد
اليهم ولا يكون بين الوقتين الا بمقدار مايستحكم عليه السكر
فالسكر مثير للقوة الغضبيه ومقوّلها فمن أراد أن تسكن نفسه
الغضبية فلا بد أن يتجنب السكر وان تمكن من هجران

الشراب البتة فهو أصلح لقهر النفس الغضبية والشهوانية جميعاً (وينبغى) لمن أراد تذليل قوته الغضبيـة والشهوانية أن يستعمل فى جميع مايفعله الفكر ولايقدم على الشىء الا بعد أن يتروى فيه ويجعل الفكره واتباع الرأى ديدنه وعادته فان الرأى وجودة الفكر يقبحان له السفه وسرعة الغضب والانهماك فى الشهوات واتباع اللذات فاذا استقبح ذلك أحجم عنه وعدل الى مايقتضيه الرأى والفكر وان لم يرتدع بالكليه فلا بد أن يؤثر ذلك فيه فيقصر عما يريدالشروع فيه وملاك الامر فى تهذيب الاخلاق وضبط النفس الشهوانية والنفس الغضبية هى تقوية النفس الناطقةفان بهذهالنفس تكون جميع السياسات وهذه النفس اذا قويت متمكنة من صاحبها أمكنه أن يسوس بها قوتيه الباقيتين ويكف نفسه عن جميع القبائح ويتبع أبداً مكارم الأخلاق واذا لم تكن هذه النفس قوية فى صاحبها وكانت مقهورة خافته فأول ما ينبغي أن يعتمده فى سياسة أخلاقه أن يروض هذه ويقويها وتقوية هذه النفس انما يكون بالعلوم العقلية فانه اذا نظر في العلوم العقلية ودقق النظر فيهاودرس كتب الأخلاق والسياسةوداوم عليهاتيقظت

نفسه وتنبهت وانتعشت من خمولها وأحست بفضائلها وانفت من رذائلها وذلك أن هـذه انما تضعف وتخفت اذا عدمت الفضائل والمناقب واستولت عليها الرذائل فاذا اقتنت الفضائل واكتسبت الآداب تيقظت من غشيتها وثارت من سكرتها وقويت بعد ضعفها وفضائلُ هذه النفس هى العلوم العقليـة وخاصة مادق منها فاذا ارتاض الانسان بالعلوم العقلية شرفت نفسه وعظمت همته وقويت فكرته وتمكن من نفسه وتملك أخلاقه وقدر على اصلاحها وانقاد له طبعه وسهل عليه تهذيبه واذعنت له القوة الغضبية والشهوانية وهان عليه قمعها وتذليلها فأول ماينبغي أن يبتدىء به من يحب سياسة أخلاقه النظر فى كتب الاخلاق والسياسة ثم الارتياض بعلوم الحقائق فان أشرف ماتكون النفس إذا أدركت حقائق الأمور وأشرفت على هيئات الموجودات واذا شرفت نفس الانسان وعلمت همته ترقى الى مراتب أهل الفضل ومما يصلح النفس الناطقة ويقويها أيضاً مجالسة أهل العلم ومخالطتهم والاقتداء بأخلاقهم وعاداتهم وخاصة أصحاب علوم الحقائق والمتيقظين منهم المستعملين فى جميع أمورهم ما تقتضيه علومهم وتوجيه

عقولهم فأما تميز عادات النفس الناطقة واستعمال ما حسن منها واطراح ما قبح فذلك انما يمكن ويسهل أيضاً اذا راض نفسه الناطقة فأن النفس الناطقة اذا ارتاضت بالعلوم الحقيقية وتيقظت وشرفت انفت من العادات المستقبحة وتنزهت عن التدنس بها فيهون حينئذ على صاحبها تجنب ما يكره من عاداتها ويتغلب عليه استحسان الأخلاق الجميلة والتخلق بها وقد تبين من جميع ماذكرنا أن طريق الأرتياض بالاخلاق المحمودة المرضي منها والتصنع لاعتيادها واتباع المحمود المرضى منها واجتناب المذموم والمستقبح وتذليل قوة الشهوة الغضبية وضبطها وقهرها هو اصلاح النفس الناطقة وتقويتها وتحليتها بالفضائل والآداب والمحاسن فان ذلك هو آلة السياسة ومركب الرياضة ومن لم يتمكن من اكتساب العلوم العقلية والأمعان فيها أو تعذر عليه ذلك فليبذل جهده في تدقيق الفكر ومجاهدة النفس وتمييز ما بين عاداته القبيحة والجميلة وينظر أيها أجدى عليه وأيها أنفع له وأيها أحمد عاقبة وأبقى على الأيام فانه اذا صدق نفسه وجد شهواته ولذاته انما هي ملذة وقت استعمالها فقط فاما بعد مفارقتها فليست باقية عليه ولا نافعة له

ويجد عارها وشينها باقياً على الدهر متداولاً بين الناس يعاب به ويزرى عليه بقبحه وكذلك شدة الغضب والتسرع الى الانتقام والسب والفحش فانه اذا انجلت غمرته وسكنت سورته وتأمل أمر مافعله وجده قبيحاً ولم يجده مجدياً ولامفيداً وقد صار مافعله عند الغضب نقيصه يوسم بها ومعرة يسب بها وربما ارتكب فى الغضب جنايات يعاقب عليها ويؤدب من أجلها وكذلك العادات المكروهة من عادات النفس الناطقة أيضاً يجدها غير نافعة ولامجدية وذلك ان الحسد والحقد والخبث وأمثال هذه لاينتفع بها صاحبها وان انتفع بالخبث والشر فشر منفعة ومع ذلك هو ضار له فان من تشرر قصده الناس واستمدوا لأذيته وتصدوا للأضرار به وتوقوه واحترزوا منه وكرهوا نفعه وقصروا وجوه الخير عنه واجتهدوا فى ذلك وما أسوأ حال من هذه صفته فمستعمل الشر والخبث سيىء الحال يضره شره أكثر مما ينفعه فاذا حاسب الانسان نفسه وأجال فكره وتمييزه علم أن الضرر فى مساوى الاخلاق أكثر من النفع وان الذي يعده منها نفعاً ليس هو بنفع على الحقيقة وهو يسير جداً غير باق ولا

مستمر فان هذا اليسير الذى يمده نفعاً لا يفى بالضرر الكثير والعار الدائم المتصل ويعلم أيضاً أن الشر والخبث يجلبان عليه الشر ويوحشان منه الناس فاذا أدام ذلك وأكثر منه قوي فى نفسه اتباع محاسن الاخلاق وسهل عليه اطراح مساويها ومقابحها وغلب عليه الخير والسداد وفرغ من العيب والعار فاذا فعل ذلك دائما لم يلبث أن يصلح أخلاقه ويحسن طريقته ويهذب شمائله ويلحق برتبة أهل الفضل ويتميز عن أهل الدنس والنقص (وينبغى) لمن أراد سياسة أخلاقه أن يجعل غرضه من كل فضيلة غايتها ونهايتها ولا يقنع منها بما دون الغاية ولا يرضى الا بأعلى درجة فانه اذا جعل ذلك غرضه كان حرياً أن يتوسط فى الفضائل ويبلغ منها رتبة مرضية ان فاتته الدرجة العالية فاما ان قنع بالتوسط لم يأمن ان يقصر عن بلوغه فيبقى فى أدون المراتب ويفوته المطلوب قد يطمع أبداً فى التمام فهذا الذى ذكرنا هو طريق الارتياض بمكارم الاخلاق ومنهج التدرج في محمود العادات فاذا أخذ الانسان نفسه به وأكثر مراعته وتعهده صار له أمر الفضائل ديدناً والمحاسن له خلقاً وطبعاً وقد بقى علينا أن نذكر

فصل في أوصاف الانسان التام الجامع لمحاسن الاخلاق

وطريقته التى بها يصل الى التمام (فنقول) الانسان التام هو الذى لم تفته فضيلة ولم تشنه رذيلة وهذا الحدقلما ينتهى اليه انسان واذا انتهى الانسان الى هذا الحد كان بالملائكة أشبه منه بالناس فان الانسان مضروب بانواع النقص مستول عليه وعلى طبعه ضروب الشر فقلما يخلص من جميعها حتي تسلم نفسه من كل عيب ومنقصة ويحيط بكل فضيلة ومنقبة الا ان التمام وان كان عزيزاً بعيد التناءل فانه ممكن وهو غاية ماينتهي اليه الانسان ونهاية ماهو منتهي له واذا صدقت عزيمة الانسان وأعطى الاجتهاد حقة كان قمينا بان ينتهى الى غايته التى هى منتهى له ويصل الى بغيته التى تسموا نفسه اليها (فاما) تفصيل أوصاف الانسان التام فهو أن يكون متفقدا لجميع أخلاقه متيقظا لجميع معايبه متحرزاً من دخول كل نقص عليه مستعملا لكل فضيلة مجتهداً فى بلوغ الغاية عاشقا لصورة الكمال ملتذاً بمحاسن الاخلاق متيقظاً لمذموم العادات معتنياً بتهذيب نفسه غير مستكثر ما يقتنبه من الفضائل مستعظما لليسير من الرذائل مستصغراً للرتبة العليا

مستحقراً للغاية القصوى يرى التمام دون محله والكمال أقل أوصافه فاما الطريقة التي توصله الى التمام وتحفظ عليه الكمال فهي ان يصرف عنايته الى النظر في العلوم الحقيقية ويجعل غرضه الاحاطة بماهيات الأمور الموجودة وكشف عللها وأسبابها وتفقد غاياتها ولا يقف عند غاية من علمه الاورنا بطرفه الى مافوق تلك الغاية ويجعل شعاره ليله ونهاره قراءة كتب الاخلاق وتصفح كتب السير والسياسات وأخذ نفسه باستعمال ماامر أهل الفضل باستعماله وأشاره المتقدمون من الحكماء باعتياده وينشدوا أيضاً طرفاً من أدب البيان والبلاغة ويتحلى بشيء من الفصاحة والخطابة ويغشي أبداً مجالس أهل العلم والحكمة ويعاشر دائما أهل الوقار والعفة هذا ان كان رعية وسوقة فان كان ملكاً ورئيساً فينبغي أن يجعل جلساءه ومناديمه وغاشته والمطيفين به كل من كان معروفا بالخير والسداد موصوفا بالأدب والوقار مخصصا بالعلم والحكمة محققا بالفهم والفطنة ويقرب مجالس أهل العلم وينشطهم ويكثر مجالستهم والأنس بهم ويجعل تفرجه وتفكهه مذاكرتهم في العلم وفنونه وسياسة الملك ورسومه وأخبار

[stamp]

الحكماء وأخلاقهم وسير الملوك الأخيار وعاداتهم (وينبغى) للانسان التام ولمن طلب طريقته التى بها يصل الى التمام أن يجعل لشهواته ولذاته قانونا راتباً يقصد فيه الاعتدال ويجتنب السرف والافراط ويعتمد من الشهوات واللذات المعتمدة له ماكان من الوجوه المرتضاة المستحسنة ويأخذ نفسه بذلك ويحض عنها الطبع ويهجر أصحاب اللذات ومعاشرتهم وينقبض عن الخلفاء ومخالطتهم ويشعر نفسه ان الشهوة عدو مكاشح وخصم مكافح يريد أبداً ضرره وأزيته ويعتمد شينه وفضيحته فيناصب شهوته بالعداوة ويكاشفها بالمعاندة ويقمع أبداً سورتها ويكسر دائماً حدتها ويقهر سطوتها ويذلل على التدريج عزتها ويسكن على الترتيب فورتها فانه اذا فعل ذلك كان خليقا ان يملك نفسه وتنقاد له شهوته وتنطبع بالعفة وتألف حسن السيرة ومتى أرخى لشهوته عنانها وسمح لها فى مرادها واهمل سياستها ومراعاتها استطالت وشمخت ولم تلبث أن توهن صاحبها وتقوده وتحمله على مايسوءه ويعره فيصير بذلك بعيداً من التمام غير طامع فى الكمال (وينبغى) لمن يطلب التمام أن يعلم انه لاسبيل له الى بلوغ غرضه مادامت اللذة عنده مستحسنة

والشهوة مستحبة وهذه الحال صعبة جداً متعسرة على طالبها بعيدة المأخذ وهي على الملوك والرؤساء أصعب وأبعد لان الملوك والرؤساء أقدر على اللذات وأشد تمكنا والشهوات واللذات لديهم معرضة ولهم سجية وعادة فمفارقتها عليهم متعذرة وأعراضهم عنها كالشيء الممتنع خاصة لمن قد نشأ على الانهماك فيها والتوفر عليها الا ان الملوك وان كانوا أقدر على اللذات وأكثر اعتيادا لها فهم اعظم همماً واعز نفوسا والمحصل منهم اذا سمت نفسه الى التمام الانسانى واشتاقت الى الرياسة الحقيقية علم ان الملك أحق أن يكون أتم أهل زمانه وأفضل أعوانه ورعيته فيهون عليه مفارقة الشهوات وهجر اللذات الدنية (وينبغى) لمن رغب في سياسة أخلاقه وسلك طريق الاعتدال فى الشهوات أن يجعل قانونا يقتصر عليه فى المآكل والمشارب مقرونا بالكرم وهو أن لا يستبد بالمأكل والمشرب وحده بل يقصد أن يشرك فى ماله من ذلك اخوانه وأوداءه ان كان رعية وسوقة وان كان ملكا رئيسا فيجمع عليه حاشيته وندماءه ويعم به أصحابه واعوانه ويتفقد بفضلاته أهل الفقر والمسكنة وخاصة من سبقت له معرفة به أو تقدمت له خدمة

فيصرف الى حاجاتهم من عنايته فان اعتداد هؤلاء بما يصل اليهم من بره أكثر من اعتداد حاشيته وأصحابه وليظهر لمن يجتمع على مائدته وعلى طعامه وشرابه من اخوانه وأصدقائه ورعيته وندمائه وأن كان ملكا ان جمعه لهم للانس بهم والسرور بمعاشرتهم لا ليكرمهم بطعامه وشرابه ولا ان لذلك قدراً يعتد به ويحترز كل الاحتراز من أن يبد ومنه امتنان بالطعام والشراب أو تبجح به فان ذلك يزري بفاعله ويغض منه ويوحش من يغشاه ويقطعهم عنه وقد يستحسن من الانسان أيضا اذا كان مقلا ان يواسى بطعامه اخوانه وان كان محتاجا اليه ويستحسن منه أيضاً ان يواسي به الفقراء والضعفاء وقد يستحسن منه أيضا اكثر من ذلك بان يؤثر الانسان بطعامه وشرابه غيره وان كان شديدا الاضطرار اليه وكان لا يقدر على غيره (وينبغى) ايضا

فصل لمن طلب السياسة التامة ان يستهين بالمال ويحتقره
وينظر اليه بالعين التى يستحقها

فان المال انما يراد لغيره وليس هو مطلوبا لذاته فانه فى نفسه غير نافع وانما الانتفاع بالاغراض التى تنال به فالمال آلة تنال بها الاغراض فلا يجب أن يعتقد ان اقتناءه وادخاره مفيد فاذا ادخر

وحرص عليه لم ينل صاحبه شيئاً من الاغراض التى هو بالحقيقة محتاج اليها فالمال هو مطلوب لغيره فينبغي للسديد الرأى العالى الهمة ان يزنه بوزنه فيكسبه من وجهه ويفرقه فى وجهه ويكون مع ذلك غير متوان فى اكتسابه ولا مقدم فى طلبه لان عدم المال يضطره الي التواضع لمن هو دونه اذا وجد عنده حاجته ووجود المال يغنيه عن من هو فوقه وان دنت منزلته ويكون ايضاً غير مدخره ولا متمسك به بل يصرفه فى حاجاته وينفقه في مهماته ويقصد الاعتدال فى تفريقه ويحذر من السرف والتبذير فى تخريجه ولا يمنع حقا يجب عليه ولا يصرفه فى شيء لا يجب ولا يشكر عليه واذا فرغ من حاجته واستكفى من نفقاته وسد خلله عاد الى النظر فى أمره فان كان بقى من ماله بقية فاضلة عن مهم اغراضه اخرج منها قسطاً فجعله عنده يستظهر به لشدة ويعده لنائبة ثم عمد الى الباقى وفرقه فى ذوى الحاجة من أهله وأقاربه واخوانه وأهل مودته وجعل فيه قسطا للضعفاء والمساكين واهل الفاقة المستورين وجعل اهتمامه بأفضاله وبره أكثر من اهتمامه بضروراته فان الضرورات تقوده كرها اليها وأكثر النوافل متى لم يهم بها ويشعر نفسه الزامها لم يسهل عليه فعلها لان ضعف

النفس وسوء الظن يصرفانه عنها وان لم يكن له جاذب من نفسه
وداع قوي من همته لم يقدم عليها وغلب عليه التوانى فاذا
توانى عن البر والفضل كان شحيحاً دنياً وليس بتام بل ليس
بالحقيقة انساناً من لم يمكن له بر يعرف ولم تنتشر عنه افعال توصف
هذا ان كان من أوساط الناس فاما الملوك والرؤساء فانهم أحق
بهذه السياسة ويجب أن يكونوا بذلك أشد عناية فيجبوا الاموال
من حقها وواجبها ويصرفوا منها فى نفقاتهم ومؤناتهم وأرزاق
جندهم وأصحابهم قدر الكفاية من غير سرف ولا تقتير ويعدوا منها
شطراً لخوف عاقبة ويصرفوا الباقى فى طريق الكرم والجود
ووجوه الخير والبر فيعطوا أهل العلم على طبقاتهم ويجعلوا لهم
رواتب من خواص أموالهم ويدفعوا لمن هو مثابر على العلم
والأدب ويبروا الضعفاء والمساكين ويتفقدوا الغرباء ويهتموا بالزهاد
وأهل النسك ويخصوهم بقسط من أفضالهم وانعامهم ويعتنوا
بالصغير والكبير وينفقوا فى مصالحهم شطراً من أموالهم فان الملوك
أولى بالكرم من الرعية وأحق بالجود من العامة وقد يستحسن
أيضاً من المقلين والمقترين المواساة بالمال والايثار به وان كانوا
محتاجين اليه وكلما كانت حاجتهم أشد كان ذلك الفعل حسناً وهذه

الحال مستحسنة اذا رأى الرجل أخاً من اخوانه أو صديقاً يختص به وقد دعته الحاجة الى مالا يقدر عليه لاصلاح شيء من شأنه أو لدفع محنة نزلت به وكان هو قادراً على ذلك القدر من المال فيبتدي باسعافه عفواً من غير مسئلة وان فعل هذا الفعل مع الغريب الذى لا يعرفه ولم تسبق له حرمة ولا مودة كان جميلاً مستحسناً (وينبغى) لمحب الكمال ان يشعر نفسه ان الغضبان بمنزلة البهائم والسباع يفعل ما يفعله من غير علم ولا روية فاذا جرى بينه وبين غيره محاورة أدت الى أن يغضب خصمه ويتسفه عليه اعتقد فيه انه فى تلك الحالة بمنزلة البهائم والسباع فيمسك عن مقابلته ويحجم عن الاقتصاص منه الا يعلم أن الكلب لو نبح عليه لم يكن يستحسن مقابلته على نبحه وكذلك البهيمة لو رمحته لم يستحسن عقوبتها لانها غير عالمة بما تصنعه الا أن يكون جاهلا فان من السفهاء من يغضب على البهيمة اذا رمحته ويوجعها ضربا اذا آذته وربما عثر السفيه فشتم موضع عثرته ورفصه برجله فأما الحليم الوقور فلا يستحسن شيئاً من ذلك واذا استشعر فى خصمه انه بمنزلة البهائم صار هذا الاستشعار منه طريقا الى ضبط النفس

الغضبية وزمها وان أذاه مؤذ بغير سفه فيؤدى ذلك الاذى الى حال يغضبه انف أيضاً من الغضب مع استشعاره ان الغضبان والبهيمة سواء فيعدل حينئذ الى مقابلة مؤذيه بما يقتضيه الرأى من حيث لا يظهر فيه غضب ولا سفه (وينبغى) لمحب الكمال أيضا أن يعود نفسه محبة الناس اجمع والتودد اليهم والتحنن عليهم والرأفة والرحمة بهم فان الناس قبيل واحد متناسبون تجمعهم الانسانية وحلية القوة الالهية هى فى جميعهم وفى كل واحد منهم وهى النفس العاقلة وبهذه النفس صار الانسان انساناً وهى اشرف جزئى الانسان الذين هما النفس والجسد والانسان بالحقيقة هي النفس العاقلة وهى جوهر واحد فى جميع الناس وكلهم بالحقيقة شيء واحد والأشخاص كثيرون واذا كانت نفوسهم واحدة والمودة انما تكون بالنفس فواجب أن يكونوا كلهم متحابين متوادين وذلك فى الناس طبيعة لولم تقدهم النفس الغضبية فان هذه النفس تحبب لصاحبها الترأس فتقود صاحبها الى الكبر والاعجاب والتسلط على المستضعف واستحقار الصغير وحسد الغنى وذى الفضل فتنشأ من اهل هذه الأسباب العداوات وتتأكد البغضاء

بينهم فاذا ضبط الانسان نفسه الغضبيه وانقاد لنفسه العاقلة صار الناس كلهم له أحباباً واخواناً واذا أعمل الانسان فكره رأى ذلك واجبا لأن الناس أما ان يكونوا فضلاء أو نقصاء فالفضلاء تجب عليه محبتهم لموضع فضلهم والنقصاء تجب عليه رحمتهم لموضع نقصهم فيحق لمحب الكمال أن يكون محباً لجميع الناس متحننا عليهم رؤوفا بهم وخاصة الملك والرئيس فان الملك ليس يكون ملكا مالم يكن محباً لرعيته رؤوفا بهم وذلك أن الملك ورعيته بمنزلة رب الدار وأهل داره وما أقبح رب الدار أن يبغض أهل داره ولا يتحنن عليهم ويحب مصالحهم (وينبغى) لمحب الكمال أن يجعل همته فعل الخير مع جميع الناس وانفاق ما يفضل من ماله فيما يبقى له الذكر الجميل بعد موته ويتحرز من فعل الشر فانه اذا حاسب نفسه علم ان من فعل الشر فانه يفعله لخير ليعتقد انه يصل اليه وربما كان غالطا واذا علم ان الأمر على هذه الصفة كان واجبا عليه ان يطلب الخير الذى يرومه من طريق غير طريق التشرر اذا كان هو الغرض المطلوب لا فعل الشر فاما ان كان تشرره يلحقه أسفاً وغيظاً فليعلم انه اذا سكن غيظه وجد ذلك المقصود بالشر غير مستحق لذلك

الفعل ففعل الشر قبيح وخاصة بمن قد جمع الفضائل الا ان يكون ذلك الشر تأديبا على جرم واقتصاصا من جان فان هذه الحال مستحبة محمودة بل لا يعد شراً لان ذلك الشر انما يصل الى الجاني فقط ويكون منه نفع عام لجميع الناس بان يرتدع أمثاله من الجناة وتكون المنفعة فيه اكثر فمن أجل ذلك لا يعد شراً واذا اعتمد الانسان فعل الخير وألفه وتجنب الشر واستوحش منه أنف من الأخلاق المكروهة التى تعد شراً كالحسد والحقد والخبث والخديعة والنميمة والغيبة والوقيعة وأمثال هذه العادات واذا فكر العاقل المحصل فيها علم أنها غير مجدية عليه نفعاً وهى مع ذلك تشينه وتقبح صورته واذا كان محباً للتمام مستشرفاً للكمال كان واجبا عليه تجنب هذه الأخلاق (وينبغى) لمحب الكمال أن يعتقد انه ليس شىء من العيوب والقبائح خافياً عن الناس وان اجتهد صاحبها فى سترها فلا يطمع نفسه فى ارتكاب فعل قبيح يظن أنه ينكتم عن الناس حتى لا يقف عليه أحد ويجب أن يعلم أن الناس بالطبع موكلون بتتبع عيوب الناس وتعييرهم بها وذلك فى الناس غريزة والسبب فيه أن الانسان مالم يبلغ التمام فليس يخلو من

تقصير يعاب به ويسوءه ان يكون غيره أفضل منه فهو يسر أن يكون الناس كلهم نقصاء ليساووه فى النقص ويخلوا دونه فهو أبداً يتبع معائب الناس ويعيرهم بها ليرى الناس انه أفضل ممن فيه ذلك العيب ويشعر نفسه أيضاً ذلك لتطيب بما فيها من العيوب فليس شىء من العيوب يخاف عن الناس وان اعتمد ستره وقد يظن كثير من الملوك والرؤساء أن عيوبهم مستورة عن الناس غير بادية وذلك لموضع هيبتهم وعظم سطوتهم يستشعرون ان حاشيتهم وخواصهم لا يجسرون على اظهار أسرارهم ان وقفوا على شىء منها وهذا نهاية الغلط لان خواص الملك وحاشيته كما أنهم عنده ثقاة أمناء كذلك لكل واحد منهم خاص وثقة يخرج اليه بأسراره والذى لا يستر أسرار نفسه فمحال أن يستر عنه أسراره غيره وهذا الحال طريقة الى انتشار معائب الملوك الذين يظنون إنها مستورة والعلة فى ظنهم أنها مستورة هو أنهم لا يسمعون أحداً يذكرها ولا أحداً يتنصح اليهم بها فيظنون إنها خفية . فاذا أحب الانسان أن يعلم أن عيوبه غير خافية فليمد إلى نفسه ولينظر هل يعرف لأحد عيباً كان يستره ويخفيه فانه يجد للناس عنده عيوباً

كثيرة قد اجتهدوا فى سترها وحرصوا على صونها . ومنهم من يظن أنها خفية ومنهم من يعلم أنها قد انتشرت بعدالستر فاذا علم انه عارف بأسرار كثير من الناس كانت مستورة فمن الواجب أن يعتقد أن عيبه غير خاف ولا منكتم وان الناس يعرفون من عيوبه أكثر مما يعرف من عيوبهم (فينبغى) لمحب الكمال أن يعتقد أن عيوبه ظاهرة وان اجتهد فى اخفائها وليس بتام من عرف له عيب ولا طريق الى التمام الا باجتناب العيوب بالكلية والتمسك بالفضائل فى سائر الأمور وهذه الرتبة غاية تمام الانسانية ونهاية الفضيلة البشرية وواجب على كل انسان الاجتهاد فى بلوغها واستفراغ الوسع فى الوصول اليها لأن التمام مطلوب لذاته والنقص مكروه لعينه . وأحق الناس بطلب هذه الرتبة وأولاهم بالتحمل لبلوغ هذه المنزلة الملوك والرؤساء وأشراف الناس وأعظمهم قدراً وما أقبح بالشريف العظيم ان يكون ناقصاً فالملوك اذاً ينبغي أن يكونوا أشد الناس حرصاً على بلوغ الكمال لأن الكامل من الناس الجامع للفضائل مترتب بالطبع على الناقص من الناس فالانسان التام رئيس بالطبع واذا كان الملك تاما جامعاً

لمحاسن الاخلاق محيطاً بجميع المناقب كان ملكاً بالطبع واذا كان ناقصا كان ملكا بالقهر . وما أولى بالملك أن يرغب فى الرياسة الحقيقيةالتى لا تكون بالقهر والشرف الذاتى لا ماهو بالوضع فالواجب أن يصرف الملك همته الى اكتساب الفضائل واقتناء المحاسن ويطلب الغاية فى المكارم ويستصغر الكبير منها حتى يحوز جميعها ولا يرضى بالنهاية حتى يزيد عليها فانه ان رضى برتبة فوقها رتبة لم يصل أبداً الى التمام. وان أبعد الناس من التمام من رضى لنفسه بالنقصان فاذا طلب الملك الكمال فأول ما يجب أن يعتاد عظم الهمة فان عظم الهمة يصغر فى عينه كل رذيلة ويحسن له كل فضيلة . واذا عظمت همة الملك سلم من الاعجاب بملكه ورأى نفسه وهمته أعظم قدراً من أن يستكبر ذلك الملك . واذا احتقر الملك ملكه الذى به عزه وعظمته طلب لنفسه ما يعظها بالحقيقة . وليس يعظم النفس الا الفضائل . (ثم) ينبغى له أن يكره الملق ويبغض المتملقين وينهاهم عن تلقيه به . وملاك أمره أن يتعرف عو به حتى يمكنه توقيها والتحرز منها [illegible]

على الملوك اكثر لاعجابهم بمحاسنهم وعظم مرتبتهم . وأيضاً فان الرعية والسوقة يبكتون بعيوبهم ويعيرون بها فهم يعرفونها والملوك لا يجسر احد على تبكيتهم فلا يقدم أحد على تبكيتهم على عيوبهم لان الناس أجمع يقصدون التقرب الى الملوك بملقهم فلا يقولون لهم الا ما يحبون لينالوا الحظوة عندهم . فعيوب الملوك أبداً خفية عنهم . (وينبغى) للملك اذا أحب أن يتنزه من العيوب ويتطهر من دنسها أن يتقدم الى خواصه وثقاته ومن كان يسكن الى عقله وفطنته من خدمه وحاشيته فيأمرهم أن يتفقدوا عيوبه ونقائصه ويطلعوه عليها ويعلموه بها (وينبغي) له أيضاً أن يتلقى من يهدى اليه شيئاً من عيوبه بالبشر والقبول ويظهر له الفرح والسرور بما أطلعه عليه بل المستحسن منه أن يجيز الذى يوافقه على عيوبه أكثر مما يجيز المادح له على نقصه ويتحمل لومته على فعله فانه اذا لزم هذه الطريقة وعرف بها أسرع اصحابه وخواصه الى تنبيهه على عيوبه واذا نبه على ما فيه من النقص أنف منه واستشعر أولا

فاذا فعل ذلك وتوفر على اقتناء الفضائل والزم نفسه التخلق بالمحاسن ولم يرض من منقبه الا بغايتها ولم يقف واجتهد فيما يحسن سياسة نفسه عاجلا ويبقى له الذكر الجميل آجلا لم يلبث أن يبلغ الغاية من التمام ويرتقى الى النهاية من الكمال فيحوز السعادة والانسانية والرياسة الحقيقية ويبقى له حسن الثناء مؤبداً وجميل الذكر مخلداً فقد أتينا على صفة الانسان التام الجامع لمحاسن الاخلاق والطريق التى تؤديه الى هذه الرتبة وتحفظ عليه هذه المنزلة وقدمنا ما يجب تقديمه من سياسة الاخلاق وتهذيب النفوس فما أولى من نظر فى هذا القول وتصفحه وفهم مضمونه وتدبره أن يأخذ نفسه باستعمال ما بين فصوله ويسوس أخلاقه مما يتطرق الى الذى قنن فى تضاعيفه ويجتهد كل الاجتهاد فى تكميل نفسه ويستغرق غاية الوسع فى طلب تمامه فما أقبح النقص بالقادر على التمام والعجز من المستعد لنيل الكمال وهذا حين نختم القول بتهذيب الاخلاق والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

﴿ نبذة من حكمه ﴾

كل منحة وافقت هواك فهي محنة وكل محنة خالفت هواك فهى منحة ، ان رددت الامور كلها اليه استرحت من منازعات كثيرة ، عطايا الله كل حسنة فما وافق هواك جعلته خيرا وما خالفه جعلته شرا قل كل من عند الله ما عاملت به الخلق يعاملك به الحق ، وما عاملت به الحق يعاملونك به الخلق ، ليس الزاهد من زهد فى الدرهم والدينار انما الزاهد من زهد فيما سوي الجبار لا يرتجى الوصول من لم يتابع أثر الرسول ، لا تكون عبد الله وأنت تميل الى شيء سواه ، لا تترك الوسائط ما لم تصر من البسائط ، القوم لا يتكلمون فى دفاترهم الا ببعض ماشاهدوا ببصائرهم ، حلية الابدال الصمت والسهر والجوع والاعتزال ، من صدقت سريرته انفتحت بصيرته من صدق مقاله استقام حاله ، الخير كله مجموع فى غيب خزائن الجوع ، طرق الحق لا تحصى للأكثار وأقربها اليه الذل والانكسار ، ليس الدين كثرة صوم وصلاة انما الدين خوفك من الله ، التوبة ترك الاصرار وملازمة الاستغفار ، المفترضان أفضل القربات ما تعلمت العبيد أفضل من علم التوحيد ، من صدق مع الحق قطع علائقه من الخلق ، الفتح

ممنوع الاعلى أهل العزلة والجوع ، من تعدى الحدود فهو عن الحضرة مطرود ، من خالف هواه قهر أعداه، كثرة تلاوة الاذكار تنزع كثائف الأستار ، لا ينال غاية رضاه الا من خالف نفسه وهواه ، اذا فسدت أحوال الشريعة فاشراط الساعة سريعة، من توقى صغائر الشبهات سلم من كبائر الآفات ، من صدق توجهه لله أعطاه كل ما تمناه ، من خاف الله مولاه خاف منه كل ما سواه ، الخمول يذهب الحجب والشهرة تورث العجب، من لم يأخذ الطريق عن الرجال فهو ينتقل من محال الى محال، من عرف الحق استغنى به عن الخلق ، لا تصحب من الاخوان الأصادق اللسان ، من قنع من الدنيا باليسير هان عليه كل عسير، من لا يسكن شواهق الجبال لا يقدر على محض الحلال ، من طاب مطعمه كثر مغنمه

تم والحمد لله على كل حال فى ٢ شعبان سنة ١٣٣٢ هجريه على ذمة المتوكل على الله على محمد ابو طالب الكتبي بخان الخليلي بمصر